بسم الله الرحمن الرحيم

مقال بعنوان:

رمضان شهر تجديد الإنسانية

منحنا الله رمضان لنقترب منه سبحانه ومن رحماته وفيوضاته ، حتى نفوز من جراء حسن الصيام والقيام بقربه وحبه ووده ، وإيثاره على ما سواه.

ولم يجعل الله صوم رمضان من أركان الدين إلا لما فيه من تعليم قصد الله وحده ، والانقياد له وامتثال أمره ، نعم قال لنا اتركوا الطعام من طلوع الفجر حتى الغروب .. فتركناه استجابة لأمره ، وقال لنا : اتركوا الشراب ، وشهوة النساء ، في الوقت المعلوم فتركنا جميعا وقلنا لبيك يارب.

فالصوم إذن يعلم المؤمنين جميعا حسن الامتثال لأوامر الله ظاهرا وباطنا ، ويحيي فيهم مقام المراقبة لله تعالى في جميع الأحيان.

وكما أطعناه في ترك الطعام والشراب والشهوة ، يجب أن نطيعه في : هجر الغيبة ، والنميمة ، و الكذب و قول الزور ، وكف البصر ، وغيرها ، فإن الذي أمر بترك الطعام والشراب والشهوة في نهار رمضان ، هو ذاته الذي حرم المعاصي المذكورة..

فالصادق في صومه من ترك كل ما حرمه الله تعالى .. فالدين كلية واحدة لا تنفصل أحكامه عن بعضها البعض ، ولا مجال في الدين للتشهي بأن نطيع الله تعالى في أمور ونعصيه في أخرى ، كأن نقول : سنصوم لك ، ولكن سنشاهد الحرام الذي نهيت عن رؤيته ..

أو سنصوم لك ولكن سنكذب ونقول شهادة الزور .. وقس على ذلك .. فهذا تناقض !! و مقتضى وحدة الصوم أشار إليها البخاري في الحديث الصحيح بلفظ : ((من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)).

فالصوم مدرسة كبرى جاءت لتوفير الإنسان السوي في كل الاتجاهات ، حتى يكون الصائم ذلك المؤمن : القوي في إيمانه ، الطاهر في جنانه ، العف في لسانه ، بشاهد حديث البخاري في صحيحه:

((الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل إني صائم ، إني صائم)) . فالصائم ينماز بحسن سلوكه ، وكمال أخلاقه ، وطمأنينة جنانه.

وهاهو ذا رمضان قد انتصف فهل صنع منك إنسانا سويا .. تحب الكل وتحسن إليهم، ترحمهم ، تصلهم ، تعطف عليهم .. تنطلق في التعامل معهم بايجابية .. أم لا زلت تدور في فلك رغباتك وذاتك ودائرتك الصغيرة .. بل والصغيرة جدا .. ولا تتعامل مع مسلم إلا من دائرة مصلحتك وحسب ..!! مع تجاهل الوشائج والحقوق المشتركة النابعة من صميم الدين (فإنما المؤمنون إخوة) ولا تكون الحياة جميلة إلا بنفع متعد تقدمه البشرية فأحب الناس عند الله أنفعهم للناس.

وقد كان ﷺ في رمضان ((أجود بالخير من الريح المرسلة ..)) وهذا الجود يفهم على معنيين:

الأول : جوده مع نفسه عليه الصلاة والسلام بقوة اقباله على ربه ، مستمطرا فيضه الكائن في هذا الشهر .. وذلك بأن يحمل من أنوار الطاعات في رمضان الشيء العظيم .. لكي يزداد رحمة بالوجود ، وليمده بمزيد فضل ووعي وهداية وحكمة .. ولتغمر إنسانيته بأنوار رب السماء فيكون هو المكمل للإنسانية بجميع أنواع الكمالات المستمدة من حسن الصيام والقيام .. وحسن الضراعة والابتهال في شهر رمضان.

الثاني : جوده على من يجالسه بالإكرام والإطعام ، وأعلاه بإطعامهم معاني حقيقة الصلة بالله والمعرفة به والقرب منه..

فقد كان خطابه عليه الصلاة والسلام لأصحابه في رمضان مشبعا بالفيض الخاص .. والعلم الدقيق .. والإشارة المشرقة .. لشدة قربه من ربه في رمضان .. ولسر تدارس

القرآن مع جبريل ، حديث العهد بالسماء وعوالم الملكوت الطاهرة .. فكرمه عليه الصلاة والسلام ثابت في كل حين ولكنه في رمضان أوسع حتى شبه أنه أجود بالخير من الريح المرسلة.

فرمضان يجدد معاني الانسانية المغمورة بالربانية ، لكثرة قراءة القرآن فيه ، والقرآن يهدي للعمل الصالح والتفكير السليم ، بل يهدي للتي هي أقوم دوما..

و لبعدنا في شهر رمضان عن الشهوات المسهمة في ظلمانية القلب وتدسية النفس، لأن الجوع وترك الشهوات .. يسهمان في قوة تنوير الباطن ، ويهيئانه لحسن الفهم عن الله تعالى.

وفي شهر رمضان تتجمل كل الجوارح بالطاعات تحفظا للصيام ، فبات بحق شهر رمضان خير مشكل لشخصية الإنسان السوي .. فمن صام رمضان بحق سرت فيه الانسانية الحقة المسعدة للوجود بأسره .. ومن صام رمضان بحق.. صار مولودا جديدا وإنسانا آخر بشاهد حديث النسائي : ((من قام رمضان إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه))..

فنعود للحياة بعد رمضان بنفس جديد .. ورؤية مستتنيرة .. مشحونة بالإيجابية والتفاؤل والروح الجميلة .. هذا وبالله التوفيق.

بقلم : الشيخ منير بن سالم بازهير.